سؤال القِيَم في زمن الذكاء الاصطناعي
التقنية التَّقِيَّة أُفقاً لتجاوز الآلة الذكية

سمير فريدي*

الـمُلخَّص

يأتي البحث لمقاربة موضوع الذكاء الاصطناعي من زاوية قيمية؛ نظراً لأهمية القيم في تأطير المستجدات الإنسانية، لذا يهدف هذا البحث إلى ربط الآلة الذكية بالقِيَم لرسم معالم خارطة أخلاقية تُوجِّه بوصلة الإنسان، ومن ثَمَّ الآلة في زمن الذكاء الاصطناعي، وذلك بوضع أخلاقيات تُؤطِّر مهمة كلٍّ من الـمُطوِّر والـمُبرمِج والـمُستخدِم، سواء أكان ذلك على مستوى الأفراد أم على مستوى المؤسسات. ولهذا عَمَد البحث إلى الوقوف عند بعض الأدبيات والجهود الفردية، وتتبُّع أهمِّ الأُطر القانونية الأخلاقية (العربية والدولية) التي أسهمت في تشكيل أخلاقيات الذكاء الاصطناعي. كذلك تطرَّق إلى إمكانية نقل الأخلاق الإنسانية إلى الآلات الذكية، فيما سمّاه الباحث "التقنية التَّقِيَّة"، وصولاً إلى ذكاء اصطناعي أكثر طُهْراً ونقاءً؛ تجنُّباً لأيِّ آثار عكسية تضرُّ الإنسانية بعد توسُّع الجغرافيا الإلكترونية. وقد توصل البحث إلى ضرورة ابتكار التقنية التقية التي يزدوج فيها ما هو تقني بما هو قيمي، قصد ضمان استعمالٍ أمثل للذكاء الاصطناعي؛ بما يحقق الاستفادة الفضلى من مزياه، وتجنب أي أضرار قد تمسّ بالإنسان.

الكلمات المفتاحية: الأخلاقيات، القيم، الذكاء الاصطناعي، التقنية التَّقِيَّة، الآلة الذكية.

---

* دكتوراه في الفكر الإسلامي، جامعة الحسن الثاني، 2021م، أستاذ محاضر في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية في جامعة الحسن الثاني، المملكة المغربية. البريد الإلكتروني: samirfaridi@hotmail.com، https://orcid.org/0009-0006-1742-2914

تم تسلُّم البحث بتاريخ 15/ 10/ 2024م، وقُبِل للنشر بتاريخ 25/ 5/ 2025م.

للاقتباس: فريدي، سمير (2026). "سؤال القِيَم في زمن الذكاء الاصطناعي: التقنية التَّقِيَّة أُفقاً لتجاوز الآلة الذكية"، **مجلة الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة سابقاً)**، مجلد 32، العدد 111، 69-94. DOI: 10.35632/citj.v31i111.17253

كافة الحقوق محفوظة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي © 2026

مُقدِّمة

العلاقة بين الأنا والآخر، أو بين الأنا والآلة -بتعبير الثورة الصناعية- أفضت إلى تحوُّل جذري في اهتمامات السؤال الأخلاقي المعاصر من حيث العلاقة الوجودية (Ontology) والعلاقة الأخلاقية القيمية (Axiology) بين الإنسان والآلة، وهو ما يوجِب تأسيس مُنطلَقات الذكاء الاصطناعي وتوجُّهاته على خلفيات أخلاقية إنسانية، حتّى لا ينـزاح عن دائرة الإمساك البشري؛ إذ الـمُلاحَظ أنَّ الأخلاق الإنسانية تجنح -بالموازاة مع تقدُّم العلوم والفنون- إلى التلاشي والتبدُّد، وأنَّ نقلها من حالة التبدُّد إلى حالة التمدُّد يوجِب جعل الحوار -أو التواصل- بين الإنسان والآلة ضرورة مُلِحَّة إذا أراد الإنسان أنْ يحافظ على إنسانيته؛ ما يُحتِّم تكسير حواجز العزلة لاقتحام هذه العقبة التكنولوجية، وهو ما يُقِرُّ بضرورة عدم إهمال الموجود، بالتركيز فقط على الوجود، وذلك لا يتأتّى إلّا بثورة أخلاقية تُرسِّخ المبحث القِيَمي؛ قلب الاهتمام، ومحور مُنطلَقات التفكير. وهذا يعني أنْ تكون الأكسيولوجيا هي الـمُؤسِّسة للأسئلة الأنطولوجية والإبستمولوجية على وجه الخصوص، ومن ثَمَّ تصبح خوارزميات الذكاء الاصطناعي مَحَطَّ اهتمام الأخلاقيين والـمُبرمِجين في آنٍ معاً.

يُمثِّل الذكاء الاصطناعي تعبيراً واقعياً لرمزيات الخيال العلمي؛ فالروبوتات الذكية تُجسِّد الإنسان الفائق الخيالي. ولهذا، فإنَّ الاسترشاد بالأخلاقيات التطبيقية، في مقاربة فلسفة الذكاء الاصطناعي، أمر مُهِمٌّ في السياق التقني الآني والمستقبلي؛ لمعالجة المشكلات الأخلاقية التي تُفرِزها التكنولوجيا بسرعة فائقة، بالرغم من اختلاف المنظومة الاصطناعية التي تعتمد على الخوارزميات عن المنظومة الطبيعية الـمُرتبِطة بالجينات ومفاهيم أُخرى، مثل: الروح، والنفس، والعقل. ومع ذلك، فإنَّ الحاجة مُلِحَّة إلى وضع أخلاق إلكترونية تُؤطِّر التقنية المعاصرة، وذلك باستحضار البُعْد التكاملي بين القِيَم الأخلاقية والذكاء الاصطناعي. فبعد أنْ أثبت الذكاء الاصطناعي فعّاليته الفائقة في العديد من المجالات (مثل: الرعاية الصحية، والتعليم، والترجمة، والاقتصاد، والأمن)، لم يَعُدْ مُمكِناً التخلّي عنه؛ ما يتطلَّب حوكمته في إطار أخلاقي يستجيب لمبادئ الإنسانية.

ويبقى الطموح الأكبر تطوير الذكاء الاصطناعي بهدف ابتكار "التقنية التَّقِيَّة"، وذلك بتزويد الآلات الذكية بالأخلاق الإنسانية. وهذا يقتضي نقل العقل والمشاعر والأحاسيس الإنسانية إلى خوارزمياتها؛ ما سيجعل الآلة مسؤولة عن أفعالها قانونياً؛ نظراً إلى استقلالها بشخصية إلكترونية معنوية، فيُمكِن بذلك تجنُّب أضرارها الـمُحتمَلة، مثل: الهجمات العكسية للذكاء الاصطناعي من قبيل التضليل الإلكتروني والتضليل الإعلامي، والعبث بالأمن المعلوماتي، وتجنيد الروبوتات في الحروب والحملات العسكرية، والهجمات الإلكترونية التي تُحارِب الإنسانية بما كسبت أيديها. بيد أنَّ تعقيد العقل الإنساني، وبناءاته الأخلاقية والعاطفية، يُعسِّر مهمة كلٍّ من الـمُبرمِجين والـمُطوِّرين في نقل الأحاسيس والمشاعر إلى الذكاء الاصطناعي؛ إذ لا توجد عقول مُتشابِهة يُمكِن القياس عليها، فضلاً عن تغيُّر عقل الإنسان بفعل الزمن وبعض الممارسات؛ ما يجعل إنشاء خوارزميات قادرة على محاكاة الجوانب الإنسانية أمراً غير مُتحقَّق اليوم، في انتظار نتائج الأبحاث في عِلْم الأعصاب والعلوم المعرفية وبقيَّة العلوم الـمُتقاطِعة؛ قصد البناء عليها لتطوير الذكاء الاصطناعي.

وبالمثل، فإنَّ ارتباط الإنسان بمنظومة القِيَم الدينية وبُعْدها الأُخروي سيجعل التعامل مع الذكاء الاصطناعي -وَفقاً لذلك- ضرباً من العبث؛ إذ لا يُمكِن للروبوتات -مثلاً- استيعاب مفهوم "الثواب" ومفهوم "العقاب" في الحياة الآخرة. وهذا ينطبق أيضاً على القوانين الأخلاقية الوضعية التي ترتبط بالعقاب الجسدي؛ إذ لا يُمكِن معاقبة الآلة بها بالرغم من شعورها وإحساسها بالألم، وهو ما يفتح باب النقاش واسعاً لتعرُّف تأثير المفاهيم الإلكترونية في منظومة الأخلاق الدينية.

وتأسيساً على ذلك، فإنَّ هذا البحث يطمح إلى رسم معالم خارطة أخلاقية يُمكِنها توجيه بوصلة الذكاء الاصطناعي بوضع أخلاقيات تُؤطِّر مهمة كلٍّ من الـمُطوِّر والـمُبرمِج والـمُستخدِم، على المستوى الفردي والمستوى المؤسسي، وهو ما يتطلَّب تنظيم رحلة معرفية في الدراسات التي تناولت الموضوع، ثمَّ بحث إمكانية نقل الأخلاق الإنسانية إلى الآلات الذكية، في ما أطلقنا عليه اسم التقنية التَّقِيَّة، وصولاً إلى ذكاء اصطناعي أكثر طُهْراً؛ تجنُّباً لأيِّ آثار عكسية تُلحِق الضرر بالإنسانية بعد توسُّع نطاق الجغرافيا إلكترونياً.

أوَّلاً: فلسفة الذكاء الاصطناعي: المفهوم، والتاريخ، والسِّمات، والإمكانات

خرج الذكاء الاصطناعي من رَحِم روايات الخيال العلمي التي مهَّدت للإنسان قبول الفكرة مبدئياً، لتنتقل الأفكار المبثوثة في صفحاتها إلى التجوُّل في المختبرات البحثية؛ إذ أخذت ملامح هذه التقنية تتبلور شيئاً فشيئاً حتّى اتَّخذت شكلاً وسَمْتاً ميَّزها عن غيرها من وسائل التكنولوجيا الحديثة وأدواتها الـمُتعدِّدة. ويُمكِن القول: إنَّ بدايات انطلاقة الذكاء الاصطناعي تعود إلى آلان تورينغ (Alan Turing) الـمُتوفّى عام 1954م، حيث كان يدور في خَلَده سؤال مُهِمٌّ، هو: هل يُمكِن للآلات أنْ تُفكِّر؟

ومن المعلوم أنَّ القدرة على التفكير ترتبط بالذكاء، وأنَّ هذا المعطى تحديداً يثير كثيراً من المخاوف على مستقبل البشر؛ فاستقلال الآلة في التفكير عن الإنسان قد يجعلها مُنافِساً أنطولوجياً له. وهذا يقتضي الرجوع إلى التشكُّلات الأولى التي صاغت منطق تفكير الآلة وأُسسها الفلسفية؛ لاستخلاص الـمُحدِّدات المنهجية التي يُمكِنها إعادة استنطاق توجُّه التقنية الذكية، وهو أمر تتولّاه فلسفة الذكاء الاصطناعي، لكنَّه يتطلَّب معرفة الأُسس التي بُنِي عليها الذكاء الاصطناعي، وتتبُّع امتداداته التاريخية وسِماته وإمكاناته.

1. الذكاء الاصطناعي: المفهوم، والامتدادات التاريخية

يُعرَّف الذكاء الاصطناعي بأنَّه قدرة الآلة على محاكاة الذكاء الإنساني[1] في مختلف الأنشطة والمهام التي يقوم بها، واتِّخاذ القرارات المناسبة في مختلف المواقف. ونظراً إلى التطور التقني الهائل والـمُتسارِع؛ فإنَّ أداء الآلة الذكية لم يَعُدْ يقتصر على فعل المحاكاة، فقد أصبح بمقدور هذه الآلة أداء العديد من المهام والوظائف على نحوٍ أفضل من البشر، وبخاصة أنَّ الشركات الـمُطوِّرة للذكاء الاصطناعي قطعت شوطاً طويلاً في هذا المجال؛ إذ انتقلت من مرحلة استنساخ الذكاء البشري

[1] سُمِّي ذكاءً؛ لأنَّ فيه محاكاة للعقل البشري، وسُمِّي اصطناعياً؛ لأنَّه يعتمد على معالجة البيانات والمعلومات حاسوبياً وآليّاً، خلافاً للإنسان الذي يؤدي هذه المهام بيولوجياً. انظر: (Copeleand, 1993, PP.33-37).

والاقتباس منه إلى مرحلة صُنْع آلات مُبدِعة ومُتفرِّدة في كثير من الخصائص والصفات والقدرات والمهارات. وقد ترتَّب على ذلك وجوب تجديد المفاهيم التقليدية للذكاء الاصطناعي وإعادة صياغتها على نحوٍ يُواكِب وتيرة التطوُّر الـمُتسارِعة في هذا المجال. ولهذا اتَّجهت الأُطر الأخلاقية إلى تعريف الذكاء الاصطناعي بأنَّه "مجموعة من التقنيات التي تُمكِّن آلةً أو نظاماً من التعلُّم، والفهم، والتصرُّف، والاستشعار" (الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي، 2023، ص6). وبعبارة أُخرى، فإنَّ الذكاء الاصطناعي هو "قدرة وحدة تقنية على أداء مهام ووظائف ترتبط عادةً بقدرات الذكاء البشري، مثل الربط المنطقي بين المعطيات والتعلُّم وتطوير الذات" (دبي الذكية، 2019، ص15). في حين رأت توصيات أُخر عدم التقيُّد أو الالتزام بتعريف واحد فقط للذكاء الاصطناعي؛ إذ يُمكِن لأيِّ تعريف أنْ يتغيَّر مضمونه بمرور الزمن وَفقاً للتطوُّرات التكنولوجية. (UNESCO, 2022, P.10).

ونظراً إلى صعوبة تحديد مفهوم "الذكاء" بدِقَّة؛ فإنَّ ذلك انعكس أيضاً على فلسفة الذكاء الاصطناعي. ولهذا، فقد طُرِحت مُقترَحات عِدَّة في محاولة لتفسير معنى أنْ تكون الآلة ذكية. ومن أهمِّ هذه الـمُقترَحات:

– مُقترَح آلان تورينغ: التقاليد الـمُهذَّبة. ومقتضاه أنَّه إذا تصرَّفت الآلة بذكاء كالإنسان، فإنَّها ستكون حينئذٍ ذكية مثله.

– مُقترَح ألان نيويل وهربرت سايمون: نظام الرموز الفيزيائية. ومقتضاه أنَّ نظام الرموز الفيزيائية يتوافر في الوسائل الكفيلة لتحقيق الذكاء.

– مُقترَح جون سيرل: الكمبيوتر الـمُبرمَج. ومقتضاه أنَّ جهاز الحاسوب (الكمبيوتر) الـمُبرمَج بشكل مناسب عن طريق تحديد الـمُدخَلات والـمُخرَجات سيوصِل إلى ذكاء اصطناعي يوازي ذكاء الإنسان.

– مُقترَح دارتموث: المحاكاة. ومقتضاه أنَّ أيَّ سِمَة من سِمات الذكاء يُمكِن وصفها بدِقَّة عن طريق صُنْع آلة تقوم بعملية المحاكاة.

كذلك ينبغي تمييز ماهيَّة الذكاء الاصطناعي من حيث المصطلح، بوصف الذكاء الاصطناعي مفهوماً حديث النشأة إبّان انفجار الثورة الرقمية، ومن حيث جذوره التاريخية التي تُرْخي سدولها في حقل الفلسفة، وتحديداً فلسفة العقل والمنطق. وكذلك يُعَدُّ مبحث الأخلاق والقِيَم واحداً من المباحث الشديدة الاتصال بفلسفة الذكاء الاصطناعي؛ ما يُحتِّم على الـمُطوِّرين والـمُبرمِجين الأخذ بجوانب الإنسان القِيَمية والأخلاقية؛[2] لضمان سلامة الاستخدام، وعدم الانحراف عن الغايات والمقاصد التي يرمي إلى تحقيقها.

وقد أسهمت قصص الخيال العلمي إسهاماً فعّالاً في إعداد الـمُتلقّي لقبول فكرة الآلات الذكية التي تَحلُّ مَحَلَّ الإنسان، والتي كانت في عهد سابق لا تكاد تخرج عن الإطار الخيالي الذي يُخرِج الإنسان من عالَم الواقع إلى عالَم الخيال قبل أنْ يصبح الخيالي في السابق هو الواقعي في الحاضر. وهذا التداخل بين الواقع والخيال أفرز تقنية ذكية، فتمكَّنت بذلك فلسفة الخيال من الإسهام في تطوير حياة الإنسان. وقد حاول بعض الباحثين التحقُّق من تاريخ ظهور فكرة الآلات الاصطناعية، بأنْ أرجعها بعضهم إلى قصص جوليم براغ، في حين سافر بها بعضهم الآخر عبر الزمن حتّى أوصلها إلى الأساطير اليونانية، مثل بيجمالون لجالاتي. (واريك، 2013، ص13).

ويُمكِن إرجاع المحاولات الأولى لتصميم نظام يُفكِّر عن طريق استخدام الرموز والعلاقات المنطقية إلى عام 1940م؛ إذ توصَّلت الأبحاث حينها إلى ابتكار الشبكات العصبية التي كانت تحاكي عمل الخلايا في الجهاز العصبي لدى الإنسان. (بسيوني، 1994، ج1، ص21). ثمَّ توالت المحاولات تترى في هذا المجال إلى أنْ أنجب علماء الذكاء الاصطناعي في عقد الخمسينات من القرن الماضي – بعد مخاض طويل– آلة ذكية تحاول محاكاة المخ البشري. وتُمثِّل محاولة روزنبلات عام 1957م إسهاماً كبيراً في بناء نموذج سهل لشبكية العين؛ إذ أفضى ذلك إلى تطوير الشبكات العصبية الحديثة. أمّا في عقد الستينات الـمُنصرِم فاتَّجهت الأبحاث، وبخاصة تلك التي أجراها ألان نيويل وهربرت

[2] إنَّ الاهتمام بالمسألة القِيَمية والأخلاقية يُعَدُّ ضرورة مُلِحَّة في السياق المعاصر، لا سيَّما أنَّ مجموعة من الباحثين يتفقون على ضحالة الفكر الأخلاقي في المجال التداولي الإسلامي، مقارنةً بالمجال التداولي الغربي. انظر: (العايب، 2019، ص 126–127).

سايمون، إلى محاولة حَلِّ المسائل على أساس البحث عن الحَلِّ المطلوب من بين كثير من الحلول الـمُحتمَلة (الـمُمكِنة)، ثمَّ توالت المحاولات البحثية في كبرى الجامعات العالمية، مثل جامعة ستانفورد، لتطوير آليّات الاشتغال وتجويد البرامج السابقة، حتّى تُوصِّل عام 1971م إلى برنامج (Dendral)، وهو نظام خبير للتحليل الكيميائي، ثمَّ تمكَّن شورتليف عام 1976م من تصميم برنامج يساعد الأطباء على تشخيص أمراض الالتهاب السحائي، إضافةً إلى توصيف طريقة العلاج المناسبة.

وبناءً على ما تقدَّم، يُمكِن استخلاص الملاحظات والنتائج الآتية:

– انطلاق شرارة الذكاء الاصطناعي من محاكاة الذكاء الإنساني؛ تمهيداً لتجاوزه.

– امتداد جذور فلسفة الذكاء الاصطناعي إلى حقول معرفية عديدة، مثل: فلسفة العقل، وفلسفة الأخلاق، والفيزيولوجيا، وعِلْم الأعصاب، وعِلْم النفس.

– إسهام تلاحم الفلسفة والعِلْم والخيال في تشكُّل الذكاء الاصطناعي وتطويره.

– النظر إلى الأنظمة الخبيرة والروبوتات الذكية بوصفها واحدة من أهمِّ تطبيقات الذكاء الاصطناعي.

2. الذكاء الاصطناعي: السِّمات والإمكانات

يرى آلان بونيه أنَّ الذكاء الاصطناعي يشتمل على خصائص وسِمات عِدَّة، يُمكِن إجمال مقتضياتها في ما يأتي: (بوني، 1993، ص13–20).

أ. التمثيل الرمزي (Symbolic Representation): يُستخدَم في برامج الذكاء الاصطناعي رموز غير رقمية؛ ما يعني أنَّ للآلة قدرة على تجاوز الفكرة السائدة من أنَّها تعتمد فقط على الأرقام.

ب. الاجتهاد (Heuristics): يتمُّ اللجوء إلى الاجتهاد عند تعذُّر وجود حَلٍّ خوارزمي للمسائل التي تُعالِجها برامج الذكاء الاصطناعي.

ت. تمثيل المعرفة (Knowledge Representation): تشير برامج الذكاء الاصطناعي إلى وجود تطابق بين العالَم الخارجي والعمليات الاستدلالية.

ث. البيانات غير الكاملة: يُمكِن لبرامج الذكاء الاصطناعي أنْ تتوصَّل إلى حَلِّ المسائل، حتّى في حال عدم توافر جميع البيانات اللازمة وقت الحاجة إلى اتِّخاذ القرار.

ج. البيانات الـمُتضارِبة (Conflicting Data): تستطيع برامج الذكاء الاصطناعي أنْ تتعامل مع بيانات مُتناقِضة فيما بينها.

ح. القدرة على التعلُّم (The ability to lear): يُعَدُّ التعلُّم من الأخطاء من أهمِّ الخصائص التي يرتكز عليها الذكاء الاصطناعي، وهو ما يجعل الأداء يتحسَّن نتيجةً لتراكم الخبرة.

خ. محاكاة السلوك الإنساني بمختلف السُّبُل: تتيح هذه الخصيصة فهم الذكاء الإنساني بصورة أفضل بسبب هذه المحاكاة، وتثير التساؤل الآتي عن الطريقة التي توصِل إلى الحَلِّ: هل يجب تقييد طريقة الحَلِّ بمحاكاة الذكاء الإنساني أم أنَّه يُمكِن صرف النظر عن الطريقة ما دام أنَّها تُفْضي إلى الحَلِّ بشكل أو بآخر في نهاية المطاف؟

إنَّ صعوبة فهم كيف تتمُّ عملية التفكير البشري انعكست على مسألة التفكير الاصطناعي؛ إذ تباينت المقاربات بخصوص هذا الموضوع. فمثلاً، في عام 1963م، رأى ألان نيويل وهربرت سايمون أنَّ التلاعب بالرموز يُمثِّل جوهر الذكاء الإنساني والذكاء الاصطناعي. وقد تمَّ الاعتماد على هذا النوع من الرموز في مَسيرة الذكاء الاصطناعي حتّى عام 1990م تقريباً، خلافاً للذكاء الاصطناعي الحديث الذي لا تُستخدَم فيع معالجة الرموز؛ إذ يقوم على جملة من الإحصائيات والتحسين الرياضي. (بسيوني، 1994، ج1، ص21).

ثمَّ تبيَّن أنَّ التفكير البشري يخرج عن دائرة الإمساك به حسابياً، وهو ما دفع بنروز إلى القول بأنَّ العمليات غير القابلة للحساب -التي تُعبِّر عن انهيار ميكانيكا الكَمِّ- تجعل للبشر مَزِيَّة مُتقدِّمة على الآلة بإمكاناتها الحالية؛ (بنروز، 1998، ص25-27). ما يتطلَّب البحث عن بدائل ونظريات علمية في الفيزياء والأعصاب يُمكِنها تأطير التفكير غير الواعي الذي يُميِّز الإنسان من الآلة. وهذا ما طرح تباينات عِدَّة بين الإنسان والآلة، منها: مسألة العقل والجسد، ومسألة الروح، ومسألة اللاوعي، ومسألة الشعور والإحساس، ومسألة الفهم والإدراك. فهل تستطيع التقنية الذكية امتلاك

أحاسيس وعواطف مُعبِّرة؟ عِلْماً بأنَّ المستقبل قد "يَلِد" روبوتات تَتَّصِف بهذه الخصائص الإنسانية إنْ أمكن للمُبرمِج تحويل المشاعر والعواطف والأحاسيس إلى خوارزميات قابلة للنقل إلى الآلة، أو تمَّ التوصُّل إلى حَلٍّ خارج هذا الإطار يجعل للآلة وعياً ذاتياً، ومن ثَمَّ تكون مُبدِعة في قراراتها من غير حاجة إلى أيِّ تدخُّل بشري، وهو ما قد يتيح الوصول إلى نظريات علمية جديدة في مختلف الحقول المعرفية.

إنَّ تقليد الآلة لجميع الخصائص البشرية يبقى محكوماً بمعرفة طبيعة هذه الخصائص وحدودها في الـمَقام الأوَّل، ويبدو أنَّ الوصول إلى هذه الغاية قد يجعلنا نعكس فهمنا للمسألة؛ فبدلاً من البحث عن كيفية تزويد الآلة بالعواطف والانفعالات، يجب فهم الإنسان تقنياً؛ فرقمنة الإنسان طريق موصِل إلى أنسنة الآلة.

ثانياً: سؤال القِيَم الإنسانية في عصر الذكاء الاصطناعي من منظور الدراسات السابقة

يُمكِن أنْ نُميِّز بين نوعين من الدراسات السابقة الـمُرتبِطة بأخلاقيات الذكاء الاصطناعي؛ أوَّلهما يتعلَّق بما حرَّره الباحثون في الموضوع؛ إمّا بشكل فردي، وإمّا بالتعاون مع بعض الـمُؤلِّفين. وثانيهما يتعلَّق بما وضعته بعض الهيئات الدولية في هذا المجال.

1. النوع الأوَّل من الدراسات: أخلاقيات الذكاء الاصطناعي من منظور بعض الجهود الفردية

يُمكِن إجمال أبرز الكتب التي تناولت هذا الجانب في ما يأتي:

أ. كتاب "الآلات الأخلاقية: تعليم الروبوتات التمييز بين الصواب والخطأ"، تأليف ويندل والاش وكولين ألن (Wallach & Allen, 2009).

أجاب هذا الكتاب عن سؤال مُهِمٍّ، هو: هل يُمكِن للآلات الذكية والروبوتات أنْ تتصرَّف على نحوٍ أخلاقي؟ ويُمكِن عَدُّه من أهمِّ الكُتُب التي لها صِلَة وطيدة بموضوعنا؛ إذ ناقش فيها الـمُؤلِّفان كيفية "تخليق" الأنظمة الذكية والروبوتات، بحيث تصير قادرة على

التفكير استناداً إلى قواعد أخلاقية، أو "تخليق" -بتعبيرنا الخاص- التقنية الذكية عن طريق برمجتها للوصول إلى هذا الهدف، بحيث تتمكَّن الآلة الذكية من اتِّخاذ القرارات بناءً على تشبُّعها بالقِيَم الإنسانية والمبادئ الأخلاقية.

إذن، فالتحدّي الأساس الذي يحاول الكتاب تذليله يتمثَّل في تعليم الآلة الذكية ضوابط التفريق بين الصواب والخطأ؛ لكي تصبح -في نهاية المطاف- آلات أخلاقية (Moral machines)، بما يضمن انسجامها مع القِيَم الإنسانية بالرغم من اختلافها عن الإنسان من حيث افتقادها الأحاسيس الطبيعية التي تَنِمُّ عن الخير والشَّرِّ كما هو حال الإنسان. وهذا ما يجعل مهمة "تخليق" الآلة تتطلَّب من الـمُبرمِجِين والـمُصمِّمين اعتماد منهجيات مختلفة؛ لتزويدها بالمعايير الأخلاقية. وسعياً لتحقيق هذا الهدف؛ فقد عرض الكتاب عدداً من النظريات الأخلاقية، وبيَّن كيف يُمكِن تنـزيلها على الذكاء الاصطناعي، مُنوِّهاً بأنَّ النظرية النفعية تقوم على تحقيق أكبر قَدْر من الفائدة، وأنَّ أخلاقيات الواجب في بنائها تعتمد على القواعد والقوانين، في حين أنَّ أخلاقيات الفضيلة ترتكز على تحسين صفات الإنسان الأخلاقية. بعد ذلك انتقل الـمُؤلِّفان إلى بيان كيف يُمكِن تحويل النظرية النفعية إلى قواعد برمجية؛ ليتمَّ تزويد الآلات الذكية بها. واللافت أنَّ هذه الـمُحدِّدات دفعت الكتاب إلى مناقشة مسألة أُخرى مُهِمَّة جداً ترتَّبت عن النقاش السابق، وهي المسؤولية الأخلاقية للآلة الذكية؛ أيْ، هل تستطيع الآلة تحمُّل مسؤولياتها الأخلاقية والقانونية في ما تقوم به من أفعال؟

ب. كتاب "متوافق مع الإنسانية: الذكاء الاصطناعي ومشكلة التحكُّم"، تأليف ستيوارت راسل (Russell, 2019).

حاول الـمُؤلِّف في كتابه الوقوف على المخاطر والتحدِّيات الـمُتعلِّقة بتطوير أنظمة الذكاء الاصطناعي، ثمَّ قدَّم تحليلاً مُعمَّقاً لمعالجتها أخلاقياً عن طريق ضمان توافق الذكاء الاصطناعي مع القِيَم الإنسانية؛ فالفكرة الرئيسة التي يتمحور حولها الكتاب تنطلق من التحدِّيات التي يُمكِن أنْ يطرحها الذكاء الاصطناعي في حال عدم ضبطه أو مراقبته؛ إذ من الـمُمكِن أنْ تُشكِّل خطراً على

الإنسان ومستقبله، وهو ما قد يُفْضي إلى نتائج كارثية وخيمة؛ لذا يهدف الكتاب إلى معالجة ذلك قبل فوات الأوان عن طريق "تخليق" الذكاء الاصطناعي بالقِيَم الإنسانية، وجعله مُتوافِقاً معها.

ت. كتاب "عصر النسخ الذهنية: العمل، الحُبُّ، والحياة في عالَم تسوده الروبوتات"، تأليف روبين هانسون (Robin, 2016).

تحدَّث مُؤلِّف الكتاب عن فكرة مستقبلية للذكاء الاصطناعي، هي النسخ الرقمية للعقول البشرية (أو ما يُعرَف بالنسخ الذهنية)، مُبيِّناً أنَّ هذه النسخ الذهنية يُمكِن تشغليها باستخدام أجهزة حاسوب (كمبيوتر) مُتطوِّرة؛ لمحاكاة الوعي البشري، والتصرُّف واتِّخاذ القرارات مثل البشر. كذلك أشار الـمُؤلِّف إلى تأثير النسخ الذهنية في بعض مجالات الحياة؛ ففي المجال الاقتصادي، تُؤثِّر هذه النسح تأثيراً كبيراً في سوق الشغل بسبب قدرتها على العمل بكفاءة أعلى من كفاءة البشر؛ فهي تعمل من دون تعب أو مَلَل أو كَلَل؛ ما يُفْضي إلى زيادة الإنتاجية، لكنَّ ذلك سيؤدّي -في الوقت نفسه- إلى تقليص حجم الوظائف التقليدية وعددها. أمّا في مجال العلاقات الإنسانية فقد تتغيَّر العلاقات التقليدية بين الأفراد في ظلِّ وجود نسخ ذهنية؛ إذ من الـمُمكِن تشكيل علاقات عاطفية جديدة بين البشر والنسخ الذهنية؛ ما سيعيد النظر في مفهوم "الزواج" ومفهوم "الأُسْرة" في شكلهما التقليدي.

ث. كتاب "الحياة 0.3: أنْ تكون إنساناً في عصر الذكاء الاصطناعي"، تأليف ماكس تيغمارك (Tegmark, 2017).

استعرض الـمُؤلِّف في هذا الكتاب جملة من التحدِّيات الـمُرتبِطة بتأثير الذكاء الاصطناعي على مستقبل الإنسانية؛ فمعنى أنْ تكون إنساناً في عصر الذكاء الاصطناعي يتوقَّف على تحقيق أكبر قَدْر من الاستفادة من التكنولوجيا وتقليل مخاطرها الـمُحتمَلة. ومن ثَمَّ، فإنَّ الكتاب يستشرف المستقبل؛ قصد إيجاد الحلول، ومسايرة التغيُّرات التقنية، من قبيل التأثير في الهُوِيَّة البشرية والقِيَم الإنسانية. ولأنَّ التغيير قد يطال مختلف جوانب الحياة؛ فقد اقترح مُؤلِّف الكتاب أنْ تتضافر الجهود،

وأنْ تُرسَّخ دعائم التعاون المشترك لتحقيق الأمان، عن طريق ضمان توافق الذكاء الاصطناعي مع القِيَم الإنسانية، والتعامل مع مختلف التحدِّيات الأخلاقية التي يُمكِن أنْ يطرحها مستقبلاً.

إنَّ هذه الكتب وأمثالها تقترح أساساً وضع إطار أخلاقي يُنظِّم آليَّة عمل الذكاء الاصطناعي، ولا تكاد المبادئ المسطرة فيها تخرج عن المساءلة والمسؤولية، والشفافية، والمساواة وعدم التحيُّز، والتوازن. غير أنَّ بحثنا هذا يُعْنى بطرح مسألة أُخرى لا تقلُّ أهمية عن المسائل التي طرحتها تلك الكُتُب، وهي مسألة "تخليق" التقنية التَّقِيَّة؛ أيْ تجاوز الآلة الذكية التي تُفرِز تحدِّيات جَمَّة تُؤثِّر سلباً في الإنسان والمجتمع، والاستعاضة عنها بنسخة أكثر "تخلُّقاً" من الذكاء الاصطناعي، تتمثَّل في التقنية التَّقِيَّة. وهذه المهمة تحتاج إلى أمرين اثنين؛ أوَّلهما يرتبط بالمسألة التقنية؛ أيْ كيفية برمجة الأخلاق ودمجها في الآلة الذكية. وثانيهما يرتبط بالقِيَم الكونية التي ينبغي الأخذ بها، وبمَنْ هو أَهْل لوضعها؛ نظراً إلى طبيعة القِيَم؛ إذ يتداخل فيها ما هو ديني وما هو اجتماعي وما هو ثقافي. ومن ثَمَّ، فإنَّ سؤال الإطار المرجعي عمَّنْ هو أَهْل لتولّي عملية "التخليق" يظلُّ مطروحاً بقوَّة في سياق البحث عن أخلاقيات الذكاء الاصطناعي.

2. النوع الثاني من الدراسات: أخلاقيات الذكاء الاصطناعي من منظور الهيئات الدولية

يُمكِن القول: إنَّ أهمَّ الوثائق التي اعتنت بأخلاقيات الذكاء الاصطناعي تتمثَّل في اتِّفاق البرلمان الأوروبي والـمُفوَّضية الأوروبية والدول الأعضاء على وضع قانون إطار للحوكمة، وذلك في شهر كانون الأوَّل (ديسمبر) عام 2023م. وقد سبق هذا القانون إعداد مُسوَّدة تأسيسية عام 2018م، إضافةً إلى التوصية الخاصة بأخلاقيات الذكاء الاصطناعي التي اعتمدتها مُنظَّمة اليونسكو بتاريخ 23 تشرين الثاني (نوفمبر) 2021م، وتضمَّنت جملة من القِيَم والمبادئ والسياسات الأخلاقية الـمُؤطِّرة للذكاء الاصطناعي في مختلف الميادين، التي تتضمَّن عناصر عِدَّة، منها: (UNESCO, 2022, P.3).

- أوَّلا: نطاق التطبيق.
- ثانياً: الأغراض والأهداف.
- ثالثاً: القِيَم والمبادئ.
- رابعاً: مجالات العمل الخاصة بالسياسات.

ويندرج تحت هذا المحور مجموعة من السياسات، أبرزها:

- تقييم العواقب الأخلاقية، والحوكمة الأخلاقية.
- التنمية والتعاون الدولي.
- البيئة والنُّظُم الإيكولوجية.
- التربية والتعليم والبحث.
- الاتصال والمعلومات والبيانات.
- الاقتصاد والعمل.
- الصحة والرفاهية الاجتماعية.

وفي هذا الإطار، توجد اجتهادات وثائقية في المجال التداولي العربي، نخصُّ بالذكر منها ثلاث وثائق:

الوثيقة الأولى: وثيقة "دبي الذكية: مبادئ وإرشادات أخلاقيات الذكاء الاصطناعي" التي كان التركيز فيها على المبادئ الآتية: (دبي الذكية، 2019).

- الأخلاقيات.
- الأمان.
- الشمولية.
- البشرية.

الوثيقة الثانية: "مبادئ أخلاقيات الذكاء الاصطناعي"، إعداد الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي، الإصدار الأوَّل، أيلول (سبتمبر) 2023م.

تنصُّ هذه الوثيقة على الضوابط والأخلاقيات الآتية الخاصة بالذكاء الاصطناعي: (الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي، 2023).

- النـزاهة والإنصاف.
- الخصوصية والأمن.
- الإنسانية.
- المنافع الاجتماعية والبيئية.
- الموثوقية والسلامة.
- الشفافية والقابلية للتفسير.
- المساءلة والمسؤولية.

الوثيقة الثالثة: "الميثاق المصري للذكاء الاصطناعي المسؤول"، إعداد المجلس الوطني للذكاء الاصطناعي التابع لوزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، نيسان (أبريل) 2023م.

تتضمَّن هذه الوثيقة خمسة مبادئ رئيسة، هي: (المجلس الوطني للذكاء الاصطناعي، 2023).

- البشرية بوصفها مقصداً.
- الشفافية والقابلية للتفسير.
- العدالة.
- المساءلة.
- الأمن والأمان.

يُلاحَظ أنَّ جميع هذه الوثائق الـمُؤطِّرة لأخلاقيات الذكاء الاصطناعي (عربياً ودولياً) تَتَّفِق على المبادئ والـمُنطلَقات الأخلاقية نفسها، مُحاوِلةً -في الوقت نفسه- إضفاء البُعْد المحلّي عليها في بعض الأحيان. وإنَّ الناظر فيها يستشعر الأبعاد النفعية التي يُمكِن للذكاء الاصطناعي أنْ يُحقِّقها للإنسانية على مستويات عِدَّة. ولضمان عدم الخروج عن هذه المقاصد؛ فقد رُسِمت خارطة أخلاقية

مُوجِّهة للوصول إلى تلكم المقاصد والغايات. ويضاف إلى ذلك أنَّ بعض المبادئ الأخلاقية التي تُؤطِّر الذكاء الاصطناعي تنصُّ على مبدأ الإنصاف بين البلدان؛ لكيلا تَتَّسِع الفجوات بينها، ويظلُّ بعضها سائراً خلف الرَّكْب، مع احترام رغبة المجتمعات في عدم المشاركة في التطوُّرات التي يشهدها العالَمَ الـمُعولَمَ.

وقد أقرَّت هذه الهيئات بمنافع تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي في مجموعة من المجالات والوظائف، لكنَّها لم تغفل -في الوقت نفسه- عن العواقب التي يُمكِن أنْ تترتَّب على ذلك، والتي يجب التصدّي لها أخلاقياً، مُؤكِّدةً أنَّه لا ينبغي لهذه المخاطر الأخلاقية أنْ تُعوِّق مَسيرة الابتكار والتطوير؛ لكيلا تصبح الأخلاق الـمُؤطِّرة للذكاء الاصطناعي غير أخلاقية في بعض أبعادها.

ثالثاً: التقنية التَّقِيَّة أُفقاً لإعادة تشكيل أخلاقيات الذكاء الاصطناعي

أسهمت روايات الخيال العلمي وأفلامه في إحداث قفزة نوعية أدَّت إلى تغيير نظرة الإنسان إلى الآلة الذكية؛ إذ أضحت الأخيرة -في ظلِّ ثورة الإعلام والاتصال- كائناً وجودياً يشارك الإنسان أنطولوجيته، ويتقاسم معه رقعة الصراع، ومن ثَمَّ غدا التنافس فيها يدور بين ما هو بشري وما هو آلي. بيد أنَّ حجم التطوُّرات الهائلة للذكاء الاصطناعي جعل هذه الحدود والفواصل تتبدَّد تدريجياً؛ ما يُنبِئ باقتراب تلاحم الإنسان والآلة اقتصادياً، وعِلْمياً، واجتماعياً، وعاطفياً... ويُمكِن التمثيل -في هذا السياق- على ذلك بكتاب "الذكاء الاصطناعي 2041: عشر رؤى لمستقبلنا" (Kai, Chen, 2021). لمُؤلِّفيه كاي فو لي وتشن تشيو فان؛ إذ مُزِج فيه بين الواقع والخيال العلمي، فكاي فو لي خبير في الذكاء الاصطناعي، وتشن تشيو فان كاتب خيال علمي؛ لذا جاء الكتاب جامعاً بين الخيال العلمي والواقع العملي في تقديم الإمكانات التي يَتَّصِف بها الذكاء الاصطناعي. غير أنَّ الكتاب يُركِّز فقط على المستقبل القريب، وتحديداً عام 2041م، بعرضه عشر قصص خيالية تتحدَّث عن التطوُّرات المستقبلية للذكاء الاصطناعي، مثل: السيّارات الذاتية القيادة، والتعلُّم العميق، والترجمة الآلية؛ فكلُّ قصَّة تحكي بُعْداً من هذه الأبعاد، وتُبيِّن تأثيره في الواقع والمجتمع.

والكتاب يتوقَّع أنَّه بحلول عام 2041م سيعرف العالَمَ اندماجاً مع الذكاء الاصطناعي في جميع القطاعات، بما ذلك قطاع التعليم، وقطاع الصحة، وقطاع المدن الذكية. صحيحٌ أنَّ القصص خيالية، غير أنَّها تشمل أبعاداً اقتصاديةً واجتماعيةً وإنسانيةً لِما سيؤول إليه مستقبل الإنسان، الذي سيصبح مُسيطَراً عليه من طرف التكنولوجيا.

ولهذا، فإنَّ الناظر في التطوُّرات الـمُتسارِعة للذكاء الاصطناعي يقف عند ضرورة تأطيره أخلاقياً؛ حتّىٰ لا يفتك بالإنسان. فمن أهمِّ المخاطر التي يطرحها الكتاب: تجنيد روبوتات فتّاكة للعمل ذاتياً في المجال الحربي والعسكري، وأداء الذكاء الاصطناعي أفعالاً عكسيةً تضرُّ بالإنسان، وتتجاوزه، وبخاصة علىٰ مستوىٰ الرقابة والأمن، مثل احتمال ارتكاب الجرائم، والتضليل الإعلامي، وحماية البيانات وإساءة استخدامها، وانتهاك حقوق الـمُستخدِمين، إضافةً إلىٰ تقليل الاتصال البشري، وإضعاف الاستقلالية والحرية، وعدم القدرة علىٰ صنع القرار، وفقدان العُمّال لوظائفهم، والأنثروبومورفيزم أو التجسيد (انتقال الصفات البشرية إلىٰ الروبوتات الذكية). ولئن كان الهدف من ذلك خدمة الإنسان وتحقيق رفاهيته، فلا بُدَّ من وضع قوانين برمجية أخلاقية؛ تجنُّباً لأيِّ سلوك غير مسؤول، ومنعاً لحدوث أيِّ فوضىٰ رقمية.

وبذلك أصبحت الحاجة إلىٰ الأخلاق الإلكترونية مَحَطَّ اهتمام الباحثين والهيئات الدولية، لكنَّ الإشكال يتمثَّل في كيفية "تخليق" الآلة. فالسؤالان الجوهريان اللذان يُهمِلهما الباحثون في مجال الأخلاق التطبيقية للذكاء الاصطناعي هما: هل يجب "تخليق" الإنسان أم "تخليق" الآلة؟ وهل أصبح الحديث اليوم عن روبوتات مُتخلَّقة أمراً واقعاً؟

يرىٰ مارك كوكِلبِرج في كتابه "أخلاقيات الذكاء الاصطناعي" (Coeckelbergh, 2020) أنَّ الذكاء الاصطناعي ليس مُجرَّد قضية تقنية، وإنَّما هو مسألة أخلاقية تتطلَّب بحثاً عميقاً من جميع الفاعلين، مُطالِباً بتطويره وتنظيمه وَفق قِيَم العدالة الاجتماعية، وضمان حقوق الأفراد، واحترام خصوصياتهم، والتحلّي بالمسؤولية والمساءلة، وعدم التأثير سلباً في سوق العمل، والمحافظة علىٰ

القِيَم الإنسانية، سواء تعلَّق ذلك بالروبوتات، أو الأنظمة الذكية، أو التعلُّم الآلي. كذلك عالج مارك كوكِلبِرج في الكتاب مسألة العلاقة بين الإنسان والآلة من جهة الاعتماد على التقنية، ومن جهة التفاعل العاطفي معها، وقد قادته المخاوف الـمُرتبِطة بالذكاء الاصطناعي إلى وضع أُطر أخلاقية تُمكِّن من استخدامه استخداماً آمناً يحترم آدمية الإنسان وإنسانيته.

والظاهر أنَّ نقل الشعور الأخلاقي إلى مجال الإلكترونيات والرقميات يعتريه بعض الغموض، لا سيَّما أنَّه مَحَطُّ نقاش كبير في مجال الإنسانيات؛ ما جعل استحضار هذا المعطى مُلِحّاً في هذا النقاش الأخلاقي الإلكتروني. فالفعل الأخلاقي يشتمل على ما هو عقلي وما هو عاطفي في آنٍ معاً؛ ما يجعل عملية "تخليق" الآلة لا تقتصر فقط على البرمجة الرياضية الصرفة، ولئن كان ذلك غير مُتحقَّق بصورة واضحة لدى الـمُبرمِجين، فإنَّه يُمكِننا النظر في مسألة تحويل الأخلاق إلى لغة رياضية منطقية؛ لترويضها على الانسجام مع العقل الاصطناعي، ومن ثَمَّ يتلقّاها بالقبول، ويتمكَّن من تهذيب ذاته آليّاً. فصياغة ميثاق الأخلاقيات لا يتوقَّف عند مُجرَّد وضع قوانين أخلاقية مُؤطِّرة للذكاء الاصطناعي، بل يتعيَّن على الـمُبرمِجين تطوير ذكاء أخلاقي للآلة، حتّى يكتمل ذكاؤها حقّاً.

إنَّ تأسيس أخلاق ذكية اصطناعية سيجعل الفضاء السيبراني (Cyberspace) أكثر أمناً و"تخلُّقاً". وهذا محكوم بمدى قدرة العقل البرمجي على صياغة أخلاق رقمية وصناعة مشاعر إلكترونية[3] تحاكي المشاعر الإنسانية، أو تتجاوزها إلى مشاعر أكثر طُهْراً، عن طريق إغفال الشَّرِّ الإلكتروني؛ لكيلا يتجاوز العقل الآلي العقل الإنساني. ومن شأن هذه القضايا الإلكترونية أنْ تصبغ المسائل الأخلاقية القديمة بصبغة رقمية جديدة، وهنا نقصد -على وجه التمثيل- كُلّاً من السعادة

[3] توجد بعض المحاولات التي سعت إلى تحفيز المشاعر رقمياً، بالانطلاق من عاملي الحموضة والملوحة، فضلاً عن الاستشعارات التي تعتمد على الخلايا العصبية، ومحاكاتها بالعصب الاصطناعي الذي يتيح للروبوتات الشعور والتفاعل مع المحيط الخارجي. وقد تمَّ نقلها لعلاج بعض الحالات الـمَرَضية، مثل تفاعل الجسم مع الأطراف البديلة، في انتظار تعميق الأبحاث في هذا المجال. كذلك شهدت الشركات الـمُطوِّرة لتقنيات الذكاء الاصطناعي نقاشاً مُهِمّاً وتفكيراً جادّاً في إمكانية نقل المشاعر الأخلاقية والعاطفية إلى الذكاء الاصطناعي من الناحية الفلسفية والناحية الفيزيولوجية.

الإلكترونية، واللذَّة الإلكترونية، والمنفعة الإلكترونية، والخير الإلكتروني. وهذا قد يدفعنا إلى طرح السؤال الآتي: هل يُمكِن ابتكار روبوتات ذكية أكثر "تخلُّقاً" من الإنسان نفسه؟

إنَّ الإجابة عن هذا السؤال ترتبط بمدى قدرة العقل البرمجي على تحويل الأخلاق الإنسانية إلى قوانين وخوارزميات شعورية، بحيث يصبح الذكاء الاصطناعي "الـمُتخلِّق" قادراً على تمييز الخير من الشَّرِّ، وتمييز الصواب من الخطأ، وهو ما يُمكِن أنْ يُفْضي إلى ابتكار تقنية تَقِيَّة، لكنَّ السؤال الأكثر أهمية هو: هل من الضروري نقل التحسين الأخلاقي فقط إلى الآلات الذكية أم أنَّ ذلك يتطلَّب أيضاً نقل القُبْح الأخلاقي إليها؟ ولأنَّنا نتحدَّث عن ذكاء اصطناعي "مُخلَّق"؛ فإنَّ ذلك يقتضي التفكير في محاولة نقل الأخلاق الإنسانية بتمامها، وهو ما قد يترتَّب عليه أيضاً بزوغ إشكالات أُخرى، من قبيل إمكانية تجاوز الذكاء الاصطناعي للذكاء الإنساني والهيمنة عليه؛ نظراً إلى القدرة الهائلة على التطوير الذاتي؛ ما يُدخِل الإنسان في صدام مباشر مع الآلات الذكية.

إنَّ توسُّع نطاق الجغرافيا الإلكترونية يوجِب رسم خارطة أخلاقية تمنع الإنسان (حاضراً ومستقبلاً) أنْ يفقد بوصلة الطريق نحو بلوغ إنسانيته؛ فضياعها سيجعله يتحوَّل إلى مُجرَّد آلة تحاكي الآلة التي صَنَعها، إنْ لم يكن الوضع أسوأ من ذلك، بأنْ تكون الآلة أكثر ذكاءً وإنسانيةً من الإنسان نفسه. وهذا لا يمنع طرح الوجه الآخر الـمُقابِل للفكرة، وهو الأكثر سوءاً، مُمثَّلاً في هيمنة الذكاء الاصطناعي على الذكاء الإنساني، والقضاء على هذا الأخير قضاءً مُبرَماً؛ ما يُحوِّل الإنسان إلى عبد مقهور في عصر ما بعد الحرية.

ويترتَّب على هذا الخطر الرقمي الـمُتوقَّع التفكير في ابتكار ذكاء اصطناعي تَقِيٍّ وملائكي، يوضَع في عقله الأخلاقي الإلكتروني حدود لا ينبغي له تجاوزها، ويتمثَّل أهمُّها في عدم المساس بإنسانية الإنسان أو تجاوزه؛ فبذلك يكون هذا الذكاء الاصطناعي الوديع خادماً للإنسان والإنسانية، بعد برمجته على عدم إلحاق الأذى بالإنسان، وهو ما سيجعل المنافسة تشتدُّ بين الـمُطوِّرين للوصول إلى هذه النسخة الملائكية من الذكاء الاصطناعي، التي قد تكون مُؤهَّلة في المستقبل لـ"تخليق" أُناس رقميين في مختلف المجالات والميادين، مثل: البيئة، والإعلام، والصحة،

والتعليم. وهذا الصلاح الرقمي قد يتحوَّل إلى صلاح واقعي إنْ أُحسِن استثماره. وعندئذٍ يُمكِننا التحدُّث عن "تخليق" الآلة للإنسان، بعدما كان تفكيرنا مُنصَبّاً على "تخليق" الإنسان للآلة.

ومهما يكن من أمر، فإنَّه يوجد العديد من المشكلات التي قد تُؤثِّر في الذكاء الأخلاقي للآلات الذكية اصطناعياً، مثل ظهور رقميات لاأخلاقية تسعى إلى نشر الفيروسات والمعلومات الزائفة، وسرقة المعطيات الإلكترونية، وتخريب الأنظمة الرقمية، والإخلال باتِّساق الأخلاقيات الداخلي في النظام؛ ما يتسبَّب في انهياره، وعدم التوصُّل إلى أيِّ نتيجة أخلاقية، وغير ذلك، وهو ما قد يجعل عالَم الرقميات يشهد نفس ما يشهده عالَم الإنسان، ومن ثَمَّ تتعقَّد مهمة الحُكْم على بعض المسائل الإلكترونية أخلاقياً، فهل يُمكِن عَدُّ جميع أنواع الاحتيال الرقمي سيِّئة؟ وهل يُعَدُّ انتهاك الخصوصية سلوكاً أخلاقياً؟

إنَّ الإجابة عن هذين السؤالين وأمثالهما تتطلَّب البحث عن الإطار الفلسفي الذي يُمكِن أنْ يُؤطِّر عالَم الرقميات؛ ما قد يجعل الأخلاق الكلاسيكية تعود مَرَّة أُخرى إلى ساحة النقاش بعدما تمَّ تجاوزها؛ لأنَّ الأسئلة المطروحة تقنياً لا تكاد تخرج -بأيِّ وجه من الوجوه- عمّا قرَّره ستيوارت مل في نـزعته النفعية، أو كانط في فلسفته الواجباتية، أو غيرهما من رُوّاد الفلسفة الأخلاقية قديماً وحديثاً، لكنَّ هذا يتطلَّب تجديد النظر في الأنطولوجيا؛ فبزوغ الوجود الإلكتروني المتواري عن الأنظار يدفع إلى التفكير في تأسيس أنطولوجيا جديدة تستصحب كلَّ ما هو إلكتروني ورقمي. وهذا الوجود الإلكتروني لا يُمكِن النظر إليه من خلال معطيات الـمُنجَز الفلسفي القديم، إلّا أنْ يكون هذا النظر أخلاقياً، وهو ما يعيدنا إلى تأكيد مركزية الأخلاق في الفكر الفلسفي المعاصر؛ نظراً إلى أهميتها في تأطير مختلف الحقول المعرفية.

والظاهر أنَّ عالَم الآلات الذكية سيُغيِّر كثيراً من المبادئ المنطقية والفلسفية، مثل المبدأ الثالث المرفوع، ومقولات الزمان والمكان، فضلاً عن بعض المبادئ الأخلاقية، مثل أخلاق الوسط الذهبي الأرسطية التي قد لا تنطبق على أنطولوجيا الرقميات. وإذا أخذنا إمكانية تطوير الذكاء الاصطناعي بالاعتبار، فرُبَّما نتوصَّل إلى صُنْع روبوتات ذكية لا يقتصر دورها فقط على فعل المحاكاة -بحسب

تعبير تورينغ-، ومن ثَمَّ يصبح محور حديثنا عن نسخة مُتطوِّرة من الإنسان، تُعْنى بما لديه من ذكاء اصطناعي، وبما هو لاأخلاقي في هذا المعطى. وبناءً على ذلك، فإنَّ الأبحاث في هذا المجال لا ينبغي أنْ تقتصر فقط على الجوانب التقنية للذكاء الاصطناعي، وإنَّما يجب التركيز أيضاً على جوانبه الأخلاقية؛ ما يجعل تأهيل الـمُطوِّرين والـمُبرمِجين أخلاقياً ضرورة لا غنى عنها؛ لإدراك التحدِّيات التي قد يُخلِّفها أيُّ تهوُّر برمجي خارج نطاق الأخلاقيات الرقمية، ولكي تزول الغرابة والدهشة التي قد تظهر في هذا النقاش بالنسبة إلى الـمُتلقّي؛ إذ من الواجب أنْ يُدرِك أنَّ حديثنا -في هذا الـمَقام- هو داخل أنطولوجيا الرقميات، لا بمفهوم "الأنطولوجيا" التقليدي الموروث عن الفلسفة اليونانية.

إنَّ الحديث عن ذكاء الرقميات الأخلاقي لا بُدَّ أنْ ينطلق من منظومة قِيَم مُعيَّنة؛ إمّا دينية، وإمّا فلسفية. ومن ثَمَّ، فإنَّ القِيَم التي ستُؤطِّر الذكاء الاصطناعي ستكون للمجتمعات التي شاركت بفعّالية في إثراء هذا المجال تنظيراً وتطبيقاً؛ لذا سنجد مِنَ الباحثين[4] مَنْ وضع أخلاقيات للذكاء الاصطناعي أشبه بالوصايا العشر. وهذا يدعونا إلى المشاركة الجادَّة في بحث مستقبل الذكاء الاصطناعي تطويراً و"تخليقاً"، عِلْماً بأنَّ التوصية الخاصة بأخلاقيات الذكاء الاصطناعي التي أصدرتها اليونسكو تُشدِّد على "وجوب إيلاء عناية خاصة للبلدان الـمُنخفِضة والـمُتوسِّطة الدخل، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: أقل البلدان نموّاً، والبلدان غير الساحلية، والدول الجزرية الصغيرة النامية؛ إذ تملك هذه البلدان والدول قدرات، بيد أنَّها ليست مُمثَّلةً تمثيلاً كافياً في محافل بحث أخلاقيات الذكاء الاصطناعي. ويثير هذا الأمر مخاوف بشأن إهمال المعارف المحلية، والتعدُّدية الثقافية، ومنظومات القِيَم، ومطالب العدالة العالمية فيما يخصُّ إدارة الأمور الـمُتعلِّقة بالعواقب الحَسَنة والسيِّئة لوسائل تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي" (UNESCO, 2022, P.7).

وهذا يتطلَّب أيضاً تعاوناً مُشترَكاً بين الـمُبرمِجين والأخلاقيين؛ لضمان مصلحة الإنسان، وإحداث التوازن المطلوب بين القِيَم الأخلاقية الإنسانية لمختلف المجتمعات والابتكارات

[4] مثل محاولة فرجينيا شيا.

التكنولوجية الذكية. فبذلك يُمكِن وضع ميثاق لأخلاقيات الذكاء الاصطناعي، و"تخليق" آلات ذكية؛ أيْ إنَّ أخلاقيات الذكاء الاصطناعي عملية مُزدوَجة، وهي تُواكِب جميع الـمُتغيِّرات التي قد تظهر نتيجة التطوُّرات التقنية، وهو ما يجعلها أخلاقاً مستدامةً.

خاتمة

يتبوَّأ سؤال القِيَم مكانة مركزية في التفكير الأخلاقي المعاصر، لا سيَّما بعد بزوغ المشهد الأخير لمعضلات الذكاء الاصطناعي التي كشفت عن سَوْأَة الإنسان الـمُرقمَن؛ ما جعل البحث يُركِّز على توجيه نطاق التفكير إلى الاهتمام بأخلاقيات الذكاء الاصطناعي، وتوجيه خوارزمياته إلى الحفاظ على القِيَم الإنسانية؛ لكيلا تنـزاح عن دائرة الإمساك البشري بفعل التطوُّرات الذاتية للآلة الذكية. فقد أضحى بمقدور الآلة تجاوز فعل محاكاة العقل الإنساني الذي مثَّل البدايات الأولى للحياة الجنينية الخاصة بالآلة، فأصبح بإمكانها التعلُّم وتطوير ذاتها من دون أيِّ تدخُّل بشري. صحيحٌ أنَّ لذلك إيجابيات كثيرة في العديد من الميادين والمجالات، غير أنَّ التخوُّفات المستقبلية تُهدِّد بثورة للروبوتات، وانتفاضة للتطبيقات الذكية، قد تسلب حرية الإنسان في زمن تقدُّم التقنية، أو تُهدِّد – بالأحرى– إنسانيته؛ ما يتطلَّب تضافر الجهود لإنقاذ إنسانية الإنسان وقِيَمه في زمن الذكاء الاصطناعي. وهذا لا يتأتّى إلّا عن طريق الوعي العميق بانعكاسات التقنية على الإنسان، ثمَّ تحقيق التعاون بين جميع الفاعلين؛ من: مُطوِّرين، ومُبرمِجين، وأخلاقيين، سواء أكانوا أفراداً أم مؤسساتٍ؛ بُغْيَةَ الإسهام في صياغة حلول كفيلة بالحفاظ على إنسانية الإنسان في ظلِّ الثورة الرقمية المعاصرة.

إنَّ الوعي بعمق المسألة الأخلاقية للآلة الذكية جعل العديد من المهتمين بالشأن الأخلاقي يُفرِدون دراسات وأبحاث لرسم معالم أخلاقية لعوالم رقمية. كذلك أسهمت العديد من المؤسسات العربية والدولية في صياغة أُطر ناظمة للذكاء الاصطناعي كونياً ومَحَلِّياً. وبالرغم من أنَّ هذه الجهود قد توقَّفت عند جوهر المشكلة من الخارج، فإنَّ هذا البحث جاء ليضفي بُعْداً آخرَ غاب عنها من الداخل، في ما يتعلَّق بطموح كبير يتمثَّل في تدشين التقنية التَّقِيَّة التي ستكون بديلاً عن الآلة الذكية. ولكي

يتحقَّق ذلك؛ فلا بُدَّ من تجاوز مجموعة من الـمُعوِّقات الإبستمولوجية، أهمُّها التعقيدات البنائية للعقل الإنساني وتفكيره الأخلاقي؛ نظراً إلى عدم وجود عقل نموذجي يُمكِن القياس عليه. ولهذا، فمن العسير برمجة الآلة أخلاقياً وعاطفياً عن طريق الحُقَن الخوارزمية، فضلاً عن أنَّ المسألة تتطلَّب تعاضد مجموعة من العلوم وتكاملها للوصول إلى هذا المقصد. ولا يُمكِن بحالٍ إغفال الأبعاد الكونية والأبعاد المحلية التي تُؤثِّث الـمِخْيال العام الديني والاجتماعي والثقافي للمجتمعات؛ إذ يَلزم الخضوع لمنظومة قِيَم كونية لتوجيه أخلاقيات الذكاء الاصطناعي، وهو ما يتطلَّب تدافعاً؛ قصد الوصول إلى الـمُشترَك القِيَمي الذي يُمكِن الاستناد إليه في عملية تطهير التقنية.

انتهى البحث إلى جملة من النتائج، يُمكِن إجمال أبرزها في ما يأتي:

1. الاهتمام بموضوع البحث نابع من تطوُّر الآلة الذكية؛ إذ لم تَعُدْ هذه الآلة مُقلِّدة للذكاء الإنساني ومُحاكِية له، وإنَّما أصبحت مُبدِعة ومُحاكِمة للذكاء الإنساني، بعدما أسهم العِلْم والفلسفة والخيال في تطوير تقنيات الذكاء الاصطناعي الـمُتعدِّدة.

2. التمسُّك بتطبيقات الذكاء الاصطناعي العديدة نابع من مستوى المعرفة التي يُحقِّقها للبشر، وقدرته على حَلِّ مشكلات كثيرة، والرفاهية التي قد يُوفِّرها، لكنَّ ذلك لا يَحول دون وضع أخلاقيات لهذه التطبيقات يُمكِن بها ضبط تصرُّفاتها الآلية، مع الحرص على ألّا تتحوَّل إلى نقيض مقصودها، أو تصبح عقبة تُعوِّق عملية التطوير؛ ما يجعل خلخلة الـمُنطلَقات الأخلاقية التي ينبغي أنْ تُؤطِّر الذكاء الاصطناعي ضرورة مُلِحَّة. غير أنَّ هذا لا يعني -بأيِّ حالٍ- ترك فراغ أخلاقي قد يدفع العقول الرقمية إلى الخروج عن سيطرة الإنسان.

3. "تخليق" الآلة الذكية يتطلَّب فهم خصائص الإنسان البشرية؛ لتزويد الآلة بها خوارزمياً. وهذا يُعقِّد مهمة "التخليق"؛ نظراً إلى تعقيد البناءات الإنسانية؛ من: أخلاق، ومشاعر، وأحاسيس، وعواطف. أمّا "تخليق" التقنية التَّقِيَّة فيتطلَّب فهم العلاقة بين الإنسان والآلة بصورة عكسية؛ فبدلاً

من البحث عن كيفية تزويد الآلة بالعواطف والانفعالات، يجب أوَّلاً فهم الإنسان تقنياً، فتصبح عملية رقمنة الإنسان طريقاً موصِلاً إلى أنسنة الآلة و"تخليقها".

4. اعتماد تأسيس التقنية التَّقِيَّة على الـمُزاوَجة بين ما هو قِيَمي وما هو تقني؛ قصد الوصول إلى نسخة من الذكاء الاصطناعي أكثر طُهْراً و"تخلُّقاً". فالحال يتطلَّب تحويل القِيَم إلى لغة تقنية منطقية يُمكِن للعقل الاصطناعي الاستجابة لها والانسجام معها، لكنَّ ذلك لا يتأتّى إلّا بوصول العقل البرمجي إلى صياغة أخلاق رقمية وصناعة مشاعر إلكترونية بعد فهم الإنسان رقمياً كيف ينـزع الشَّرَّ من التقنية.

خلص البحث إلى مجموعة من التوصيات، تتمثَّل في ما يأتي:

1. طرح العديد من الأسئلة التي تتطلَّب نقاشاً أخلاقياً فيها، مثل: هل يُمكِن الوصول إلى ذكاء اصطناعي طاهر ينفع الإنسان، ولا يضرُّه؟ وهذا يُحتِّم البحث في إمكانية نـزع الشَّرِّ من الآلة، بحيث تغدو كائنات "مُخَلَّقة" ووديعة، تخدم الإنسان، ولا تؤذيه.

2. إلزامية صياغة إطار أخلاقي كوني للذكاء الاصطناعي، يشترك في بنائه جميع الفاعلين في الحقل الأخلاقي ضمن هيئات حكومية ودولية؛ لإرساء قِيَم الإنسان وإنسانيته، والحفاظ على مصلحة الإنسان العُليا في زمن الثورة الرقمية.

3. دمج أخلاقيات الذكاء الاصطناعي في المناهج التعليمية والـمُقرَّرات الدراسية؛ لتوعية الناشئة بإيجابيات التقنية الحديثة وسلبياتها، وفهم الطرائق الصحيحة للتعامل معها.

المراجع

بسيوني، عبد الحميد (1994). **مقدمة في الذكاء الاصطناعي للكمبيوتر ومقدمة برولوج**، مصر: دار النشر للجامعات المصرية.

بنروز، روجر (1998). **عقل الإمبراطور الجديد: العقل والحاسوب وقوانين الفيزياء**، ترجمة: محمد الآتاسي، وبسام المعصراني، دمشق: دار طلاس والمعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا.

بوني، آلان (1993). **الذكاء الاصطناعي: واقعه ومستقبله**، ترجمة: علي صبري فرغلي، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة.

دبي الذكية (2019). **مبادئ وإرشادات أخلاقيات الذكاء الاصطناعي**.

العايب، حيدر (2019). "معالم تجديد الفكر الأخلاقي ونقد القيمة في الفكر المغاربي المعاصر"، **مجلّة الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة سابقاً)**، عدد96.

المجلس الوطني للذكاء الاصطناعي (2023)، مصر: وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، "الميثاق المصري للذكاء الاصطناعي المسؤول".

الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي (2023)، الإصدار الأوَّل، أيلول (سبتمبر)، "مبادئ أخلاقيات الذكاء الاصطناعي".

واريك، كيفين (2013). **أساسيات الذكاء الاصطناعي**، ترجمة: هاشم أحمد محمد، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

References

Al-ʿAyib, H. (2019). Maʿālim Tajdīd al-Fikr al-Akhlāqī wa-Naqd al-Qīmah fī al-Fikr al-Maghribī al-Muʿāṣir. *Majallat al-Fikr al-Islāmī al-Muʿāṣir* (Islāmiyyat al-Maʿrifah Sābiqan).

Al-Hayʾa al-Saʿūdiyya lil-Bayānāt wa-al-Dhakāʾ al-Iṣṭināʿī. (2023). *Mabādiʾ Akhlāqiyyāt al-Dhakāʾ al-Iṣṭināʿī* (1st ed.). Aylūl (September).

Al-Majlis al-Waṭanī lil-Dhakāʾ al-Iṣṭināʿī. (2023). *Al-Mīthāq al-Miṣrī lil-Dhakāʾ al-Iṣṭināʿī al-Masʾūl*. Miṣr: Wizārat al-Ittiṣālāt wa-Tiknūlūjiyā al-Maʿlūmāt.

Benrose, R. (1998). *ʿAql al-Imbirāṭūr al-Jadīd: Al-ʿAql wa-al-Ḥāsūb wa-Qawānīn al-Fīziyāʾ* (M. al-Ātāsī & B. al-Maʿṣarānī, Translators). Dimashq: Dār Ṭalās & al-Maʿhad al-ʿĀlī lil-ʿUlūm al-Ṭabīʿiyyah wa-al-Tiknūlūjiyā.

Bīsūnī, ʿA. (1994). *Muqaddimah fī al-Dhakāʾ al-Iṣṭināʿī lil-Kumbiyūtar wa-Muqaddimat Brūlūg*. Miṣr: Dār al-Nashr lil-Jāmiʿāt al-Miṣriyyah.

Boni, A. (1993). *Al-Dhakāʾ al-Iṣṭināʿī: Wāqiʿuh wa-Mustaqbaluh* (ʿA. Farghalī, Translator). Kuwait: ʿĀlam al-Maʿrifa, al-Majlis al-Waṭanī lil-Thaqāfa wa-al-Funūn wa-al-Ādāb.

Coeckelbergh, M. (2020). *AI Ethics*. The MIT Press. (The MIT Press Essential Knowledge Series).

Dubayy al-Dhakiyya. (2019). *Mabādiʾ wa-Irshādāt Akhlāqiyyāt al-Dhakāʾ al-Iṣṭināʿī*.

Hanson, R. (2016). *The Age of Em: Work, Love, and Life When Robots Rule the Earth*. Oxford University Press.

Kai-Fu Lee, & Chen, Q. (2021). *AI 2041: Ten Visions for Our Future*. Currency.

Russell, S. (2019). *Human Compatible: Artificial Intelligence and the Problem of Control*. Penguin Press.

Tegmark, M. (2017). *Life 3.0: Being Human in the Age of Artificial Intelligence*. Alfred A. Knopf.

UNESCO. (2022). *Recommendation on the Ethics of Artificial Intelligence*. UNESCO.

Wallach, W., & Allen, C. (2009). *Moral Machines: Teaching Robots Right from Wrong*. Oxford University Press.

Warwick, K. (2013). *Asāsiyyāt al-Dhakāʾ al-Iṣṭināʿī* (H. Muhammad, Translator). Miṣr: Al-Hayʾa al-Miṣriyyah al-ʿĀmma lil-Kitāb.

The Question of Values in the Age of Artificial Intelligence: Technology as a Means of Transcending the Smart Machine

Samir Faridi*

Abstract

This article examines artificial intelligence (AI) from a value-oriented perspective, emphasizing the crucial role of ethical values in guiding human and technological developments. It aims to integrate intelligent machines with moral principles to establish a moral framework that guides both human behavior and machine operation in the AI era. The article reviews relevant literature, individual contributions, and key ethical and legal frameworks (Arab and international) that have shaped AI ethics. Furthermore, it explores embedding human ethics into intelligent machines through what the researcher terms "ethical technology," resulting in a more ethically aligned AI and mitigating potential adverse effects on humanity in the expanding digital landscape. The study concludes that developing ethical technology that integrates technical proficiency with ethical considerations ensures optimal AI efficiency, maximizes its benefits, and safeguards humans from potential harm.

Keywords: ethics, artificial intelligence, ethical technology, smart machine.

* Samir Faridi holds a PhD in Islamic Thought from Hassan II University (2021). He is a Lecturer in the Faculty of Arts and Humanities at Hassan II University, in Mohammedia**,** Kingdom of Morocco. Email: samirfaridi@hotmail.com. https://orcid.org/0009-0006-1742-2914

Received: 15/10/2024. **Accepted for publication:** 25/5/2025.

To cite this article: Faridi, S. (2026). "The Question of Values in the Age of Artificial Intelligence: Technology as a Means of Transcending the Smart Machine". *Contemporary Islamic Thought Journal* (formerly *Islamiyyat al-Maʿrifah*), 32(111), 69–94. https://doi.org/10.35632/citj.v31i111.17253

© 2026 International Institute of Islamic Thought. All rights reserved.